المحاضرة رقم :07 الإتجاهات النظرية في الأنثروبولوجيا الإقتصادية" الاتجاهات المعاصرة"

ثانيا: الاتجاه الصوري

سمي بالاتجاه الصوري وذلك للصورية التي يحملها منظريه وأنصاره، من خلال اقتناعهم بمضمون هذا الاتجاه وما بني عليه من فروض واستنتاجات ، على أنه نمط أو هيكل متكامل نظريا وصالح أن نتخذه أنموذجا عند دراسة كل الاقتصاديات وفي كل البيئات على اختلاف وتباين ثقافاتها ومورفولوجيتها وتركيبتها الاجتماعية، وأيكولوجيتها وجملة مناشطها. وبالتالي كما تكون صالحة لدراسة المجتمع الرأسمالي والصناعي فهي صالحة لدراسة المجتمع الريفي. أي تطويع الواقع الاجتماعي لهذا الهيكل الشكلي أو الصوري. حتى وان تباينت واختلفت السياقات الاجتماعية. وينقسم الاتجاه الصوري الى مدرستين اثنتين هما:

1- مدرسة التحليل الاقتصادي

لقد وقع اختلاف كبير بين المنظرين حول الفرق بين التحليل الاقتصادي والنظرية الاقتصادية، فهناك من يرى أن التحليل الاقتصادي هو ذاته النظرية الاقتصادية، وهناك من يرى عكس ذلك، فحسبهم أن لفظ أو مصطلح التحليل الاقتصادي لا يشكل نمطا واحدا من أنماط التحليل.

عموما لقد أطلق مصطلح التحليل الاقتصادي على ثلاثة أنماط مختلفة من أنماط التحليل يمكننا إيجازها فيما يلي:[1]

[1] - عبد الله عبد الغني غانم:"النظرية في علم الإنسان الاقتصادي،

أ- **النمط الأول:** ويقوم على تحليل العرض والطلب، وحتى وقت قريب يظن الكثير أنه يشكل الموضوع الأساسي لعلم الاقتصاد، وينقسم هذا التحليل من حيث التطبيق الى قسمين هما: تحليل اقتصادي على مستوى الوحدة ويسمى بالميكرو:" **micro- economic**"ووحدة التحليل فيه هي الوحدة الاقتصادية مثل المنشأة الصناعية أو التجارية، أم القسم الثاني فهو التحليل الاقتصادي التجميعي أو على مستوى المجتمع ويسمى ب:" **macro-economic**" وكمثال على ذلك دراسة الدخل القومي مثلا.

ب-**النمط الثاني:** من أنماط التحليل والذي يعتبره بعض الاقتصاديين الآن أنه المنهج الأساسي في علم الاقتصاد فيتمثل في استخدامات وتطبيق مبدأ الرشد الاقتصادي أو صيغة واستخدام منطق الاختبار البحث، أو كما يقول هابيك عن الفردية والنظام الاقتصادي.

ت- **النمط الثالث** : من أنماط التحليل فانه يتألف من تحليل النظم والأهم من ذلك العمليات التي تنظم، وتنشئ أنشطة الإنتاج والتوزيع والتبادل.

تعقيب

لقد علق هيرسكوفيتز على النظرية الاقتصادية ومبادئها قائلا أنه يجب أن نضع في الأذهان حقيقة محددة هي أن المعلومات والبيانات التي استندت إليها النظرية الاقتصادية وحددت على أساسها تعريفاتها ومبادئها هي بيانات مستمدة ومرتبطة بثقافة واحدة وهذا يعني من وجهة النظر الدراسة المقارنة للثقافة أن:" القوانين" المشتقة من هذه البيانات تماثل استخراج متوسطات إحصائية على أساس حالة مفردة ومحاولة تعميمها على مختلف الحالات... وهذا الأمر عبر عنه بعض الاقتصاديين فأوضحوا أنه لا يمكن التسليم بمعيار الرشد :" **Rational norm** " ولكن لا بد بالمقابل من التسليم بنسق القيم:" **Value systems**" المتضمن في ذات الثقافة التي نقوم بتحليلها...فتجاهل

الفروق السيكولوجية والاجتماعية هو مصدر الخطأ وأساس فقدان هذه النظرية لمعناها.وبالتالي التخلي عن فكرة العمومية الاقتصادية أو نجرب مع هيكل أو نمط أقل عمومية ولكنه أكثر فائدة.[1]

كما سعت المدرسة الوظيفوية إلى تبيان التداخل بين جميع مجالات النشاط المجتمعي، والسياسي، والديني، والاقتصادي، لم تؤمن يوما بخصوصية الواقع الاقتصادي على نحو ما قد يبدو عليه في المجتمعات الغربية، فقد ذهبت إلى أن هناك فرقا جذريا بين طبيعتي تلك الاقتصادات واقتصاداتنا، فالأومو ايكونوميكوس لا وجود له فيها، وذلك على حد قول مالينوفسكي، لأنه لا وجود لديها" لفهم عقلاني للربح الشخصي" فالمرء إنما يشتغل فيها محدوًا بدوافع معقدة جدا وساعيا وراء أهداف لا شأن لها بتلبية حاجاته الراهنة أو بالتحقيق المباشر لمشاريع نفعية.[2]

في الأخير بودنا أن ننبه أن هذه النظرية بما جاءت به من نموذج للتحليل الاقتصادي لا يمكن أن يكون نموذجا تحليليا صالحا للتعميم على كل المجتمعات، والسبب في ذلك أن نموذج التحليل الاقتصادي أنطلق أصحابه من فرضيات ومبادئ امبريقية خاصة بالمجتمعات الغربية الرأسمالية الصناعية تحديدا، وان كان صادقا أو صالحا فانه يصلح لهذه المجتمعات، وقد لا يمكن تعميمه على باقي المجتمعات الأخرى المختلفة عن المجتمعات الرأسمالية والصناعية خصوصا منها المسماة بالمجتمعات التقليدية أو ماقبل الصناعية.

2- المدرسة الواقعية :

جاءت كرد فعل على طروحات أصحاب نظرية التحليل الاقتصادي، المندرجة تحت الاتجاه الصوري الذي أنطلق أصحابه من التركيز على التحليل الاقتصادي ومحاولة تعميمه

[1] - عبد الله عبد الغني غانم:"النظرية في علم الإنسان الاقتصادي،

[2] – جاك لومبار: مدخل إلى الاثنولوجيا،

كنموذج صالح لكل المجتمعات، مهملين بذلك الاختلاف والتباين بين المجتمعات، حقيقة لقد أفرغ أصحاب هذا الاتجاه الظاهرة الاقتصادية من البعد الاجتماعي، وانتزعوها انتزاعا قسريا من النظام الذي يستغرقها ألا وهو النظام الاجتماعي.

لقد شدد أصحاب الاتجاه الواقعي على رفض تعميمات نظرية التحليل الاقتصادي، اعتمادا على معطيات ونتائج الدراسات الواقعية التي قاموا بها، ومن أمثلة هذه الدراسات دراسة مالينوفسكي عن:" الكولا"، ودراسة بول بوهانان عن الاستثمار والتبادل بين قبائل التيف، ودراسة دالتون عن أماكن الأسواق في افريقيا، ومن أبرز ما توصلوا اليه أن الأفعال والعمليات التجارية ضمن المجتمعات أو النظم التي لا تستخدم النقود مختلفة كلية عن تلك العمليات التجارية التي نجدها ضمن نظام السوق أو الأنساق التي تقوم على التبادل باستخدام النقد.

والحقيقة أن هذه الفكرة أي اختلاف المجتمع الريفي والبدائي عن المجتمع الرأسمالي الصناعي الغربي من حيث الخصائص تظهر جلية في أعمال المدرسة الواقعية، وعلى رأسها مالينوفسكي ثم كارل بولاني وجورج دالتون وبول بوهانان وغيرهم من الواقعيين، لقد حقق الاتجاه الواقعي أكبر بروز له منذ صدور كتاب كارل بولاني عام 1957 بعنوان التجارة والتسويق في الامبراطوريات المبكرة. [1] وفيما يلي سنقوم بالتوضيح أكثر

*** السجال الشكلاني الجوهراني**

وللتوضيح أكثر يمكننا القول أن العقود التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية كانت تتميز بوحدة لم تكن واضحة في ذلك الوقت، وفيها التزمت القوى الصناعية القائدة للعالم بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، بالإنفاق العام والتعاون الدولي، وهندست معا أطول فترة من الازدهار الاقتصادي في تاريخ العالم، كان ذلك زمن الذروة للجامعات وللعلوم الاجتماعية على وجه

[1] - عبد الله عبد الغني غانم:"النظرية في علم الإنسان الاقتصادي،

الخصوص، وهكذا ربما لم يكن مفاجئا أن تزدهر الأنثروبولوجيا الاقتصادية في ذلك الوقت، وكانت النقطة الأساس في هذه الفورة هي :" السجال الشكلاني الجوهراني" [1]

أ- كارل بولاني والجوهرانية : من روادها:" كارل بولاني، دالتون، بوهانان"

يجادل بولاني في مقالته الأساس التي تحمل عنوان:" الاقتصاد بوصفه عملية مؤسسة" بأن المعنَيِيَن الشكلي والجوهري لكلمة:" اقتصادي" دُمجا، **فالأول** يشير إلى علاقة بين الغاية والوسيلة، أي العملية العقلية الهادفة إلى الاقتصاد" التوفير" في حين يهتم **المعنى الثاني** بتأمين الحاجات المادية في المجتمع عموما، وكان التعارض المفهومي بين :" الشكل" و" الجوهر" شائع لدى بعض العلماء من أمثال ماكس فيبر، وتهتم المقاربة الشكلانية بالتشغيل المنتظم للأفكار، وهو تواصل لمزاعم عالمية علم الاقتصاد الكلاسيكي الجديد، وبالمقابل تعطي :" الجوهرانية" الأولوية للمحتوى التجريبي في الظروف المادية والنقاشات.[2]

لقد أدرك الشكلانيون والجوهريون أهمية الأسواق بالنسبة للتنسيق الاقتصادي، أما عند بولاني فلم يستطع مبدأ السوق أن يكون" شكل الاندماج" الرئيس في التاريخ الاقتصادي العالمي، وكان قد جادل في كتابه :" التحول الكبير" بأن مبادئ التبادلية واعادة التوزيع وتدبير شؤون الأسرة أكثر أهمية من السوق في المجتمعات قبل-الصناعية... كانت الأسواق موجودة في المجتمعات القديمة لكنها لم تشكل تهديدا لاندماج الاقتصاد في النظام الاجتماعي الأوسع" التضمين" ... وكان بولاني قد حدد " حركة مزدوجة" فمن جهة اقتصادات حرية الصناعة والسوق:" lessez faire " ومن جهة أخرى المقاومة الاجتماعية لها، مقاومة تراوحت في بريطانيا القرن التاسع عشر من الحركة **الميثاقية** ونقابات العمال، وحتى الحمائية" "Protectionism"

[1] -

[2] - كريس هان، وكيث هارت: الأنثروبولوجيا الاقتصادية،

الوطنية، وقادت الديناميات الناجمة عن ذلك على نحو لا مناص منه إلى أزمات القرن العشرين وحروب عالمية.[1]

لقد زعم بولاني أن عقلية السوق المسؤولة عن هذا الرعب قد هجرت وفي الواقع، ان سياسات **البرنامج الجديد** New Deal:" **عبارة عن برنامج تشريعي واداري وضعه الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت ابتغاء الانعاش الاقتصادي والاصلاح الاجتماعي في الفترة الممتدة من 1933-1939 وذلك في محاولة للقضاء على آثار الأزمة المالية الكبرى في الولايات المتحدة عام 1929**" وتعزيز دول الرفاه في أوربا ساعدت على التبشير بمرحلة جديدة من الديمقراطية الاجتماعية، كان يفترض أن تضع نهاية لوهم السوق إلى الأبد[2]

ب-الشكلانيون : " فيرث، غود فيلو، هيرسكوفيتس، بارسونز"

يأخذ الشكلانيون تعريف الاقتصاد من قبل ليونيل روبنز "دراسة السلوك البشري كعلاقة بين الغايات النادرة والوسائل التي لها استخدامات بديلة". من خلال تبني مفاهيم اقتصاد السوق والشذوذ الاقتصادي، تدعونا هذه الرؤية المتمركزة حول الإثنية إلى التفكير في أنه لا يوجد سوى شكل واحد من أشكال النظام الاقتصادي نظامنا، والذي يتم تحقيقه تقريبًا وفقًا للمجتمعات.[3]

وعلى عكس الجوهرانيين الذين استمدوا مكانتهم من بولاني، فان الأنثروبولوجيين الاقتصاديين المعروفين بالشكلانيين لم يكونوا بقيادة شخصية رئيسية واحدة، وبدلا من رسم نموذج جديد، رأوا أنفسهم عموما يطبقون أدوات علم الاقتصاد السائد المشذبة على أوضاع غير مألوفة، وكانت المفاهيم الأساسية بالنسبة إليهم قابلة للتطبيق من حيث المبدأ في كل

[1] - كريس هان، وكيث هارت: الأنثروبولوجيا الاقتصادية،

[2] - كريس هان، وكيث هارت: المرجع نفسه،

[3] - Francis Dupuy – Armand Colin, Anthropologie Economique, www.amazon.fr/Anthropologie-économique

مكان، لأنهم عرفُوا الاقتصاد على أساس الخيارات التي يقوم بها اللاعبون الأفراد في ظروف الندرة، فوسعوا بذلك منطق الأناويَة" **Égoïsme** " العقلانية إلى أماكن اعتقد أصحاب الاتجاه الجوهراني أنها غير ملائمة، لأن التبادلية وإعادة التوزيع كانتا شكلي الاندماج المسيطرين هناك.[1]

ومن أبرز رواد الشكلانية في نجد ميلفيل هيرسكوفيتس" 1895–1963" وتالكوت بارسونز "1902–1979"، وكان هيرسكوفيتس[2] قد ميَز" بين المجتمعات التي تستخدم الآلة والمجتمعات التي لا تستخدم الآلة" وحاول أن يبرهن على أنه يجب مد مقولات علم الاقتصاد الكلاسيكية إلى النوع الثاني من المجتمعات، كما انتقد الاقتصاديين على فشلهم في إدراك حدودهم الثقافية.

[1] - كريس هان، وكيث هارت: الأنثروبولوجيا الاقتصادية،

2 – المرجع نفسه: ص94